المحاضرة (03)

عُنْوَانُ المُحَاضَرَةِ: نظرية الأدب وتاريخ الأدب ونقده

المدةُ: ساعة

الفئةُ المُستهدفةُ: طلبة السنة الثانية ليسانس، تخصص: دراسات لغوية

نظرية الأدب وتاريخ الأدب ونقده

تمهيد:

لا شكّ بأنّ مهام نظرية الأدب، التي تتمثل في البحث عن نشأته وطبيعته ووظيفته، تعني الاهتمام بمقومات الأدب كحقيقة عامة في أي زمان أو مكان، وفي أي لغة كتبت كُتب بها، فالبحث في نشأة الأدب يعني بيان العلاقة القائمة بين الأديب والعمل الأدبي، كما أنّ البحث في طبيعة الأدب يعني بيان جوهر الأعمال الأدبية؛ أي خصائصها وسماتها العامة، وأخيرًا فإنّ البحث في وظيفة الأدب يعني بيان العلاقة بين الأدب والعمل الأدبي وجمهور المتلقين، ولا شكّ بأنّ الأديب والعمل الأدبي وجمهور القراء، أركانٌ أساسيةٌ لوجود الأدب، وإذا انتفى ركنٌ من هذه الأركان انتفى وجود الأدب.

1- نظرية الأدب وتاريخُ الأدبِ ونقدهِ:

إنّ الاهتمام بأركان الأدب الثلاثة (المؤلف / النص الأدبي / القارىء) يدلُ بأنّ مهام نظرية الأدب تتداخل مع مهام النقد الأدبي وتاريخ الأدب كذلك، فالناقد على سبيل المثال قد يهتم بالمحاور الثلاثة، كما قد ينصبُ اهتمامه على إبراز الوظيفة الاجتماعية للنص المدروس، بل لا بد للناقد من التسلح بمفهوم ما للأدب عامة؛ أي لا بد له من

الاستناد إلى نظرية في الأدب قبل تعامله المباشر مع النصوص الأدبية، ففي نقدنا لعمل أدبي أو لأعمال كاتب أو مرحلة أو أدب قومي ما، نحتاج إلى نظرية أدبية، كما أنّ المؤرخ الأدبي لا بد له من مفاهيم عامة للتمييز بين الأعمال الأدبية وغيرها، بل إنّ نظرية الأدب شأنها شأن النقد والتاريخ، لا يمكن أن توجد إلاّ بعد وجود الأعمال الأدبية، فكما أنّ لا وجود للناقد قبل وجود الشاعر أو القاص، فلا وجود لمُنظّرٍ أو مؤرخٍ أدبي إلاّ بعد وجود الأديب.

غير أنّ هذا التداخل والتشابك والصلات القوية بين النقد الأدبي والنظرية الأدبية وتاريخ الأدب لا يعني بأنّ لكل منهم استقلالية في ميدانه الخاص، على الرغم من حقيقة تعاملهم مع النصوص الأدبية؛ إذ أنّ لكل منهم طريقة خاصة في التعامل مع الأعمال الأدبية، يحددها الهدف المتميز لكل منهم، فالمؤرخ الأدبي يتعامل مع النص ليُبين الظُروف والملابسات التي أحاطت به وبصاحبه، والناقد يتعامل مع النص ليُبيّن مواطن الجودة والرداءة وأسبابهما، أو ليبيّن لنا مدى انفعاله به، أو ليُصدِر لنا حُكمًا أو تقويمًا له، أمّا المُنظّرُ الأدبي فإنه يهتم بجملة من النصوص، لا ليُصدر أحكاما أو يصور انفعاله إزاء هذه الأعمال، وإنما لكي يستنبط مبادئ عامة شاملة، تُبين حقيقة الأدب وأثره كظاهرة عامة أيضا، ولكي نوضح التمايز بين هذه الحقول والميادين يمكن أن نقول بأنّ الناقد إذا وصف النص بأن حقّقهُ ودرس ما حوله من عوامل البيئة والشخصية وعوامل الإيحاء؛ أي حقّق الصلة بينه وبين منتجه وبينه وبين ظروف الحياة من حوله، كان هذا تاريخ الأدب، وإذا حكم على النص حُكمًا ؛ أي إذا وصف انفعاله به، فطبّقَ بعض الموازين عليه أو جال في فيافي الحياة والفن من خلال هذا النص، كان هذا النقد الأدبي، أما إذا وصفَ الناقدُ الأدبَ عامةً، مُبينًا كُنههُ وحقيقتهُ وصفاتهُ وآثارهُ خرجَ وصفُهُ هذا إلى ما نُسميهِ بنظرياتِ الفنِ الأدبي، فتاريخُ الأدبِ والنقد يهتمانِ بالنص ليُصدرا أحكامًا، أمّا النظرية الادبية فإنها تتعامل مع حقيقة

الأدب، فلا مجال هنا للانفعالِ أو إصدار أحكام قيمية متصلة بجودة النص أو رداءته، وعلى الرغم من هذا التمايز لا بدّ من تأكيد حقيقة عامة وهي أننا حين نعرضُ للنظرياتِ الأدبية منذ ما قبل الميلاد إلى يومنا هذا فأننا نتوخى منها أن تُعيننا في فهم الأعمال الأدبية وتحليلها ونقدها.

ومع أنّ النظريات الأدبية كلها أنتجها فلاسفة ومفكرون غرب، إلاّ أنها تبدو لنا أكثر نفعا من دراسة النقد الأوروبي في المجال الذي أشرنا إليه، ذلك أنّ النقد وتاريخ الأدب الأوروبيين لا يمكن أن ننتفع بهما انتفاعا مباشرا؛ لأنهما درسٌ أو حكمٌ أو وصفٌ وتذوقٌ للنصوص الأدبية الأوروبية، وللاستفادة من هذين القسمين في النقد لا بد من معرفةِ هذه النصوص وفهمها فهما صحيحا في لغتها الأصلية، وقد تُفيد الترجمةُ، ترجمةَ النصوصِ في هذا النوع من الدرسِ، شرطَ أن يُتاح لها المُترجمُ الموهوبُ، الذي لا يفقدُ النصَ في رحلة الترجمة الروحَ والرونقَ، فيوصلهُ إلينا ذاويا خاويا، أما القسم الثالث وهو قسم النظريات فهو في رأينا الميدان الذي يجب أن نبدأ به، وهو أوسع الميادين أمامنا للإفادة منه، ذلك أنه خلاصة أحكام تنطبق على الفن عامة، ولمحات من الحقيقة، التي لا تتغيّرُ بتغير الآداب واللغات.

مصادر ومراجع المحاضرة:

1- شكري عزيز الماضي: في نظرية الأدب، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
2- عبد المنعم تليمة: مقدمة في نظرية الأدب، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، ط1، سبتمبر 1997.